مقدمة:

يذهب كثير من الناس على أن هناك فجوة بين النظرية والواقع ويعتبرون أن النظرية شيء تجريدي وغامض ولا يمت للواقع في شيء وهذه الفكرة خاطئة حيث أن العلم ما هو إلا منهج لتسجيل الخبرات والربط على أسس عقلية بين عناصرها، حيث أن النظرية مجموعة من الروابط تستخدم لتفسير وشرح كيف تعمل ظاهرة معينة، وبالتالي كانت المهمة الأولى للعلم هي الربط بين الأفراد.

والمقصود بالربط العقلي هو التفسير بمعنى العلاقة المنطقية بين ظاهرة وأخرى أو مجموعة ظواهر فهناك أسس يمارسها العلم لمحاولة الربط بين الظواهر وهذه الأسس قد تكون عقلية كالمقارنة، والاستنباط والتجارب الملاحظة والتنبؤ، وبالتالي يبرهن لنا أن النظرية شيء لصيق بالواقع العملي والحياة اليومية فالنظرية هي الأساس لكل أجزاء المعرفة الإنسانية والاجتماعية في تفسير الظواهر والسلوك الاجتماعية والطبيعية اليومية لما يقوم به الأفراد.

فالنظرية مجموعة من العلاقات المترابطة عقليا بين بعض خبرتنا البشرية، فالنظرية تحاول شرح وتفسير كيف تعمل الظواهر لأن الإنسان يحاول تفسير البيئة وتحليل كيف تعمل الظواهر

المحاضرة رقم-١-

ماهية النظرية السوسيولوجية

١-مفهوم النظرية:

هي مجموعة من القواعد أو المفاهيم أو الفروض ويمكن تطبيقها على عدد من الظواهر المتصلة ولها القدرة على الوصف والتفسير والاستبصار أي أنها عبارة عن مجموعة من المقولات التي تسعى إلى تفسير المشكلات والأفعال أو السلوك، والنظرية المؤثرة هي التي لها قوة تفسيرية وتنبؤيه، أي أنها تستطيع مساعدتنا في تطوير وجهة نظر عامة ومتكاملة حول العلاقات بين الظواهر التي تبدو منفصلة إلى جانب المساعدة في فهم الكيفية التي يؤدي بها نوع ما من التغيير في بيئة معينة إلى أنواع أخرى.[١]

أي تعتبر النظرية جزءا من الحقيقة الواقعية التي نعيشها يوميا وهي الأساس الكامن وراء تفسير كل فرد لما يفعله ويشاهده يوميا من ظوهر اجتماعية وفيزيقية.

وتعرف النظرية على أنها: الاطار التطوري الملائم لتفسير الظواهر والمواضيع لتصبح مفهومة من خلال هذا الإطار والتوجيه النظري.[٢]

وعليه تعتبر النظرية مجموعة من العلاقات التي تفسر ظواهر التفاعل في مختلف مجالات الأنشطة التي يمارسها الإنسان، الفرد، الجماعات فهي تعتبر علاقات تبادلية بين الفرد والجماعة والمجتمع في إطار التفاعل الاجتماعي والفيزيقي والتي تعبر عن مجموعة المعايير والأيدولوجيات والقيم التي تمثلها البيئة.

٢-خصائص النظرية:

تتميز النظرية بمجموعة من الخصائص وهي كالآتي:

---

[١]- مصطفى خلف عبد الجواد: نظرية علم الاجتماع المعاصر، دار الميسرة للنشر والتوزيع، طبعة الثالثة، عمان، الأردن، ٢٠١٦، ص ٢٦٦.

[٢]- حامد خالد: منهج البحث العلمي، دار ريحانة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣، ص ٧٣.

- إنها تمثيلات رمزية عامة.
- إنها نسق من المفاهيم والقوانين المترابطة بالظواهر.
- تشكل إطارا تفسيرا لمعطيات الواقع.
- تمكن من وصف ما يحدث من ظواهر متنوعة.
- تستعمل لتوجيه المعلومات العلمية.
- تشكل قاعدة أو أساسا للتحليل.
- تمكن من صياغة القوانين العلمية بطريقة مختزلة.
- **التجريد:** حيث نجد صفة التجريد في النظرية والتي هي إما تفكير أو تأمل ونشاط مختلف عن التطبيق أو الفعل، أو حتى مجرد فكرة أو اقتراحات لم يتم اختبارها أو هي صيغ مجردة تتضمن تصورات وأوصافا غامضة.[٣]
- العلاقات والاتساق المنطقي بين الأجزاء وهي أهم الخصائص التي يجب مراعاتها في الصياغة.
- **المدى أو النطاق:** وذلك يعني مدى الظواهر الاجتماعية التي تتضمنها النظرية، حيث يمكن بعد ذلك تصنيف النظريات الاجتماعية وفقا لهذه الخاصية التي تميز كل نظرية عن الأخرى.
- **الانقسام أو التشرذم:** وهي من محاسن النظرية حيث تنقسم النظرية الأم بعد ذلك إلى عدة فروع تساهم في تعزيز النظريات الرئيسية وبالتالي فهم الواقع بشكل أدق توافقا مع الزمن المعاصر.

٣-تصنيف النظرية وأنماطها:

إن عملية التصنيف أمر ضروري للعلوم لأنه من بين الأساليب التي تسهم في التعرف على مكونات الأشياء المصنوعة، وهذا التأكيد فيه قدر كبير من الصواب لأنك عندما تهتم بتصنيف فكرة ما أو قضايا بعينها يجعلك تنظر في خصائص هذا الفكر، وهذه القضايا بقصد معرفة ما يميز كلا منها حتى تضعه في فئته المناسبة، وفي عملية تحديد المميزات والخصائص تركز على الجوهر والأساس في هذا الفكر، إضافة على ذلك فإن التصنيف يسير عمليات

[٣]- عبد الباسط حسن: أصول البحث الاجتماعي، ط٣، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٩٩، ص ٥٤

المقارنة بين المحتويات ما لم تضيفه وبالتدقيق في حالة مسألة التصنيف هذه في نظرية علم الاجتماع يمكن التمييز بين مسلكين عامين في داخلها مسالك أخرى فرعية عن الأول.[٤]

ويلاحظ على هذه المحاولات أنها تخلط بين مضمون الاتجاه المعين وبين توجهه العام ومنهجه، أما المسلك الثاني وهو الأكثر أهمية في منهجيته و محاولته الجادة ويمثله محاولة **"فاجنر"** الذي بدأ بطرح عدد من الأسئلة الهامة والمعايير المطلوبة لأي تصنيف دقيق وتتمثل هذه الأسئلة فيما يلي:

١- هل هناك اتساق داخلي في التصنيف؟
٢- هل التصنيف قادر على التمييز بين الاتجاهات الأساسية من خلال فروق جوهرية بينهما؟
٣- هل يتصف التصنيف بالعمومية بشكل يجعله قادرا على تصنيف معظم الاتجاهات؟

وفقا لهذه المعايير قام بتصنيف الاتجاهات النظرية كما يلي:

١- **النظريات السوسيولوجية الوضعية:** والتي يعتبر مؤلفوها علم الاجتماع علما طبيعيا أو هم يتعاملون على هذا الأساس و تتضمن هذه الفئات النظريات التي تأثرت بالعلوم الطبيعية أو قلدتها أو تأثرت بأطرها المرجعية بإدخال أبعاد غير سوسيولوجية في تفسير الواقع الاجتماعي ومن أمثلة هذه النظريات الوضعية الجديدة ، الأيكولوجية الإنسانية والبنائية الوظيفية والسلوكية والنظرية النفسية الحيوية في الثقافة.[٥]

٢- **النظريات التفسيرية:** التي ينظر أصحابها لعلم الاجتماع على أنه علم اجتماعي يمثل تقابلا متميزا عن العلم الطبيعي ومن أمثلة هذه النظريات نظرية الفهم الثقافي أي تفسير الواقع الاجتماعي بالثقافة ونظرية الفعل.

٣- **النظريات الاجتماعية غير العلمية أو التقويمية:** والتي يتعامل مؤلفها مع علم الاجتماع كفلسفة اجتماعية أو كإصلاح اجتماعي أو كليهما معا.

وهناك أيضا عدد من الباحثين في نظرية علم الاجتماع اتخذوا من النظام الاجتماعي الاقتصادي الذي تدافع عنه بعض النظريات وتراه نموذجا أساسيا للتصنيف أو ما تسميه

---

[٤]- الحسن إحسان محمد: موسوعة علم الاجتماع دار الموسوعات العربية، بيروت، ١٩٩٩، ص ٨٠.

[٥]- مصطفى خلف عبد الجواد: قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٦١.

بالتوجه الأيديولوجي للاتجاه وهناك تصنيفات على أنها اشتراكية أو رأسمالية وتتمثل في أعمال "أوسيوف" في كتابه (قضايا علم الاجتماع) ولكن أكثر التصنيفات شيوعا هو تصنيفها.

١- **نظريات التوازن:** والتي تركز على توازن الاجتماع واستقراره.

٢- **نظريات الصراع:** التي تركز على التغيير الاجتماعي وعلى أهمية الصراع في هذا التغيير.[٦]

٣- **نظريات فلسفية عامة عن المجتمع:** والتي ترى أن التاريخ البشري يسير وفق قانونيات عامة تحكم سيره وتيارات لا تعترف بوجود قوانين عامة تحكم سير المجتمعات أو لا تقدر بإمكانية الكتف عن هذه القوانين فتدعو إلى رفض النظرية الملموسة القابلة للملاحظة والقياس.[٧]

٤- **نظرية من المدى المتوسط:** وتكتفي بدراسة العلاقات داخل بنية اجتماعية محددة في زمان ومكان محددين.[٨]

٤-البناء المنهجي للنظرية السوسيولوجية:

هناك أربع مفاهيم أساسية اتبعها علماء الاجتماع في تحليل الظواهر الاجتماعية تتمثل فيما يلي:

- **منهج التحليل البنائي:**

يعتبر عملية أساسية في التحليل الظاهرة الاجتماعية تهدف غلى وصف وتصنيف الأنماط البنائية الواضحة في الظاهرة الاجتماعية، ويحاول الكشف عن الخصائص والسمات البنائية الظاهرة في التفاعلات الاجتماعية داخل النسق الاجتماعي.

- **منهج تحليل العمليات:**

يهدف هذا المنهج إلى البحث عن مجرى سير العمليات التي تحدثها الظاهرة الاجتماعية في البناء الاجتماعي فيحاول الباحث الاجتماعي تفسير الظاهرة الاجتماعية من خلال دراسته لظواهر الصراع أو المنافسة التي تحدث داخل إطار التنظيم ثم تمحيص العلاقات الدينامية القائمة بين هذه المتغيرات والأبعاد.

---

[٦]- الحوراني محمد عبد الكريم: النظرية المعاصرة في علم الاجتماع (التوازن التفاضلي صيغة توليفية بين الوظيفة والصراع) دار مجدلاوي عمان، ط١، ٢٠٠٨، ص ٣٠.

[٧]- الصباغ فايز: علم الاجتماع، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦، ص ١٧٠.

[٨]- السيد محمد الحسين: النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم: دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٩٥.

- **منهج التحليل النسبي:**

يهدف إلى تمحيص العلاقات النسبية في حدوث الظاهرة الاجتماعية، ويتخذ هذا المنهج أساليب تجريبية متعددة للتطبيق الميداني للواقع في دراسة الأوضاع الاجتماعية السائدة في المجتمع كما يستعمل الأدوات الإحصائية التي تحدد سير وتطور الظاهرة ويستخدم كذلك أسلوب التقييم التاريخي للظاهرة لتحديد أسباب حدوثها وعواملها.

- **منهج التحليل الوظيفي:**

يعتبر أكثر المناهج التي تعرضت للمناقشة والتحليل، فقد اهتم بها "دوركايم" في دراسته لظاهرة التضامن الاجتماعي على وجه التحديد ودراسته لعمليات التي تؤدي بالمجتمعات للوصول إلى حالة من التضامن والتماسك في إطار دراسته للنظم الاجتماعية، على اعتبار أن كل النظم والظواهر الاجتماعية لها وظيفة تؤدي إلى حفظ النظام وتوازنه وهذه الوظائف تختلف بنائيا باختلاف حجم المجتمع وكثافته.[٩]

البناء الميداني للنظرية السوسيولوجية:

يعتمد بناء النموذج الميداني في علم الاجتماع على بناء النموذج النظري والنموذج المنهجي في دراسة الظاهرة الاجتماعية، فالنموذج النظري والمنهجي والميداني يمثل كلا متكاملا للوصول إلى هدف التعميم المنهجي في ضوء نظرية محددة المعالم لاختبار قضاياها والتحقق من مدى صدقها لكي تؤكدها أو تنفيها أو تصنيف الجديد إليها، وتتجه الدراسة الميدانية إلى النزول إلى الميدان لاختبار الفروض ثم التوصل إلى النتائج النظرية باستخدام المنهج والأدوات وطرق البحث المناسبة التي تساعد المنهج للوصول إلى هدف الدراسة ونتائجها.

لذلك من خلال مراحل تطور علم الاجتماع كانت هناك صورة من التكامل والتفاعل بين علماء الاجتماع النظري وعلماء الاجتماع التطبيقي حول العلاقة بين النظرية والبحث ،وأدى ذلك إلى إدراك طبيعة العلاقة بين النظرية والبحث ،وأدى ذلك إلى إدراك طبيعة العلاقة بين النظرية والبحث الميداني ،وهذا ما أشار إليه التراث النظري المعتم بدراسة دور النظرية في البحث الميداني، ودور البحث الميداني في تطوير النظرية السوسيولوجية لذلك تهتم الدراسات السوسيولوجية الحديثة بتحديد وظيفة البحث الميداني في اختبار صحة الفروض،

---

[٩]- عثمان إبراهيم، سالم ساري: نظريات في علم الاجتماع، الشركة العربية المتحدة للتسويق، القاهرة، ٢٠١٠، ص ١٦.

فالباحث يبدأ بحثه بصياغة الفروض المتكونة من مجموعة متغيرات لاختبارها ميدانيا وقد تتحقق أولا تتحقق.

وبتكامل دور النظرية عن طريق الملاحظة والتي من خلالها يتم تحديد الأبعاد المنطقية للدراسة، فإذا لم تتفق الملاحظة مع الفروض في تحديد هذه الأبعاد يكون ذلك مؤشر للدور السلبي للنظرية في اختبار وتمحيص الفروض، وبذلك فالبحث الميداني يلعب دورا هاما في تشكيل وتطوير النظرية التي تقوم على العناصر الآتية.[١٠]

١- وجود قدر معين من المعرفة الأساسية.

٢- القدرة على إعادة البناء والتكوين.

٣- القدرة على التحريف عند اللزوم في ضوء المنطق.

٤- وضوح النظرية والبعد عن الغموض.

وعليه فإن البحث الميداني لا يهدف إلى اختبار صحة الفروض فقط المشتقة نظريا وإنما يهدف إلى استخلاص فروض جديدة ما يطلق عليه بإصلاح الاكتشاف العلمي ويعمل على نمو النظرية الاجتماعية.

[١٠]- عثمان إبراهيم عيسى: النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار الشروق، عمان، الأردن، ٢٠٠٨، ص ٤٠.